عيش حياتك

Live your life

فضيلة الشيخ
محمد الصاوي

دار الدين القيم
للنشر والتوزيع

بقلم

محمد الصاوي

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: عيش حياتك.

المؤلف: الشيخ محمد الصاوي .

عدد الصفحات: ٢٢.

الطبعة الأولى: ٢٠١٢م - ١٤٣٤هـ

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٢٢٩٠.

الناشر: دار الدين القيم للنشر والتوزيع.

التليفون: ٠١١١٦٥٦٩٤٩٤ - ٠١٠٩٤٩٩٩٦٠٢

جميع حقوق طبع ونشر هذا الكتاب محفوظة لدى دار الدين القيم للنشر والتوزيع. بموجب الاتفاق مع المؤلف .. وأي محاولة لطباعة الكتاب بأي شكل من الأشكال دون الرجوع إلى المؤسسة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

مقدمة

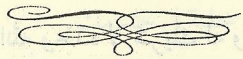

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين خلق فسوى وقدر فهدى له الثناء والمجد والعز .

تمـــــوت المبـــــادئ في مهـــــدها
ويبقـــــى لنـــــا المبـــــدأ الخالـــــدُ
مراكـــــب أهـــــل الهـــــوى أتخمـــــت
نـــــزولًا ومركبنـــــا صـــــاعدُ
ســـــوانا يلـــــوذ بعرافـــــة
وأســـــطورة أصـــــلها فاســـــدُ
يحـــــدثنا الليـــــل عـــــن نفســـــه
وفـــــيهم عـــــلى نفســـــه شـــــاهدُ

إذا عـــــــدد النـــــــاس أربـــــــابهم

فـــــــنحن لنـــــــا ربنـــــــا الواحـــــــدُ

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

أما بعد..

أيها الأخوة الأحباب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عش حياتك أو قل: عش أيامك، ما أجملها من كلمة تتردد على ألسنة الشباب والفتيات، لكن ربما البعض يضعها في غير مكانها أو يأخذها على غير لفظها، لكنني اليوم جئت لأقول لكم تعالوا لنعيش حياتنا لنعيشها بكل ما فيها من راحة وسعادة وهناء .

أخي .. هل تريد أن تعيش حياتك؟؟

هل تريد أن تجد لذة في دنياك؟؟

هل تريد أن تشعر بسعادة دائمة؟؟

إذًا أعطني كل جوارحك..

أختي.. هل تريدين بسمة دائمة على محياكِ؟

هل تبحثين عن راحة كبيرة تملأ صدركِ؟؟

هل تودين أن تكوني أسعد امرأة؟؟

إذًا كوني معي بكل خلية في جسمك..

كلمات لمن يبحثون ويتعبون ويتألمون وسيصلون إلى ما يريدون بإذن الله هذه أسطر أخطها اليوم لشباب وفتيات المسلمين كي نعيش أجمل حياة ونستلذ بأسعد عيش.

أيها المهموم.. أيها الحزين.. أيتها البائسة.. يا صاحب الدين .. يا شباب الإنترنت يا أهل الكرة والرياضة .. يا أصحاب الفن والطرب والغناء!

يا فتيات المسلمين .. يا شباب المسلمين أناديكم الليلة ولقد وصل النداء إلى قلوبكم .. ولقد نقشت كلماتي على أفئدتكم وستعيشون بعدها حياة على خير حال..

والسبب هو لأنكم ستطبقون ما أقول، وستأخذون بما سيلقى عليكم

عش أيامك أخي .. وعيشي أيامكِ أختي.. لكن كما يريد الرحمن سبحانه وتعالى..

إنه الخالق جلا وعلا الذي أبدع صنعنا..

وكون أجسامنا وزرع الروح في قلوبنا سبحانه ما أعظمه..

دماءٌ يجريها سبحانه في العروق، ونبضات يحركها الملك العزيز، وجوارح يحييها علام الغيوب جسمك أخي، رأسك أخي، عينك أخي، يديك أخي، أُذنكِ أختي.. قدمكِ أختي.. أعصابكم، دماءكم، أحاسيسكم، ومشاعركم..

كل هذا مملكة يصرفها الله كيفما شاء..

بالله عليكم أبعد هذا نستخدم تلك المملكة لنعيش حياتنا في غير طاعة الله سبحانه وتعالى؟؟

لا والله؛ لكننا سنعيش حياتنا وسنصل إلى غايتنا مع مرضاة الله جلا وعلا.

أخي .. أختي أرهفوا مسامعكم إلى هذه الآية:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور:٥٥].

يا الله ما أعظم جودك وكرمك تعدنا ونحن بإذن الله أهلًا لذلك الوعد، تستخلفنا في الأرض، تمكن لنا - سبحان الله - نحصل في الدنيا على كل ما نريد، وكل ما نشتهي

نعم إن نحن حققنا الشرط.. الذين آمنوا وعملوا الصالحات..

بل وأكثر من العيش السعيد والحياة المستقرة الرغيدة يُبدِّلنا بعد الخوف أمنًا..

إذًا هو سبحانه يقول لك ولكِ أختي.. إن أنتم عملتم الصالحات وحققتم الإيمان فلا تخافوا من أحدٍ غيري سبحانه العزيز أنه الذي يحمينا.

أنه الذي يؤوينا أنه الذي يكلؤنا ويرعانا..

أنه الذي يجعلنا تحت عينه ورعايته..

ومن أصدق من الله؟؟ لا أحد أصدق من الله.

ومن أوفى عهدًا ووعدًا من الله؟؟ لا أحد أوفى من الله.

إذًا هنيئًا لمن عاشوا حياتهم على ما يرضي الملك، وهنيئًا للعبد المطيع لسيده، والأمة القائمة على أمر مولاها..

رباه أنت خلقتني ورزقتني ورعيتني فلك المحامد كلها أنت الرحيم فعافني.

كان فارسيًا يعبد النار يقدس غير الجبار، لكنه كان محتارًا، يقلب الأنظار، ويتلفت بحثًا عن أفضل قرار، مع أنه ابن سيد النار وخازنها وحارسها الذي يقوم بشئونها، وشاء الله عز وجل أن يهدي فؤاده،

فسافر إلى بلاد الروم وتنصر هناك، وأصبح على النصرانية الصحيحة، وجلس يتعبد المولى الكريم حتى مات ذلك الراهب الذي كان يدله على طريق ربه ومولاه، فأوصاه أن يدرك جزيرة العرب فسيخرج بها خير المرسلين ورحل إلى هناك

وفي الطريق أمسك به المجرمون وجعلوه عبدًا لهم وباعوه على القوافل.

سبحان الله !! من السيادة إلى الرق والعبودية!!

نعم كل هذا تأهيل وإعداد لمرحلة العظمة القادمة ويتحمل في سبيل الوصول إلى السعادة كل شيء، ويبزغ فجر النبوة من ثغر محمد الباسم ﷺ ويقدم الرسول ﷺ المدينة ويصل الخبر إلى سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

يا رباه بعد هذا الصبر الطويل، وتلك الرحلات الشاقة ها أنا ذا أصلُ إلى الغاية، لقد جاء سيد البشر، لقد ظهر خير الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، ويذهب إليه سلمان ليرى خاتم النبوة الذي كان في كتف النبي ﷺ، فلما أحس الرسول ﷺ بذلك أزاح رداءه عن منكبيه فسقط الرداء، وهنا سقطت كل عبرات سلمان مع لحظة سقوط رداء محمد ﷺ، سقطت كل قواه واسترخت كل جوارحه

وانطلقت عبراته ودموعه تروي للنبي ﷺ حكايات السفر وعناء الطريق والتضحيات المبذولة من أجل الوصول إلى الهدف.

وها هم يعلمون بخبر إسلام سلمان فيسوموه سوء العذاب، تعرض للنار والحجارة والجلد والحبس، تألم سلمان أُوذي سلمان، تعب سلمان، ضحى سلمان، وصبر سلمان لكن هيهات إنها الحياة التي يريد أن يعيشها، إن كل الآلام تصبح لذة كبيرة عندما تكون لله سبحانه وتعالى ولسان حاله يقول للنبي ﷺ نسينا في ودادك كل شيء فأنت اليوم أغلى ما لدينا.

يا صفحات التاريخ، يا كتب الماضي بيني لشباب وفتيات المسلمين كيف تكون الحياة سعيدة، وكيف يعيشونها في راحة وطمأنينة.

لحظة يا أحباب!!

هل سمعتم هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

تأملوا .. جاهدوا .. تعبوا .. بذلوا .. ضحوا .. سهروا وقدموا .. عذِّبوا و أُذوا

لاقوا كل بلاء .. وتعرضوا لكل مصيبة لكن في النهاية..

تأمل أخي .. وتأملي أختي ماذا قال الله : ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

فالهداية مؤكدة متحققة من الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

أخي يا من تريد أن تعيش حياتك .. أختي يا من تبحثين عن لذة في دنياكِ

شاهدوا جميعًا هذه الصورة..

إنها صورة بلال العبد الحبشي الذي شهد له محمد ﷺ بالجنة.

لقد ألقي جسده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على صحراء مكة الملتهبة فانسلخ جلده، ثم وضع على الصخور المحماة في النار، فذاب شحمه، ثم غرزت في جسده أسياخ الحديد المتوقدة ومع هذا كان نشيده الذي لا يمل ترديده: أحدٌ أحد، أحدٌ أحد.

إنني لا أعبد غيره ولا أفكر في أحدٍ سواه ولست أبغي غير رضاه ويتعجب الصحابة بعد ذلك فيقولون له: كيف كنت تصبر يا بلال؟؟

فينطق بلال بتلك المعادلة العجيبة: كنت أمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، فتطغى حلاوة الإيمان فلا أشعر بألم أبدًا.

يا سبحان الله، والله أني أحبك يا بلال ووالله إني أحبك يا سلمان، وأسأل الله أن يجعلني وإخواني وأخواتي من رفقائكم ورفقاء النبي ﷺ في الجنة.

أرأيتم أحبابي هذا المشهد الفذ .. بالله عليكم قولوا لشاب أسقطته شهوة أو خدعته أغنية أو ذوبته فتاة ماجنة.

قولوا له: أوٍ لو رأيت لذة الحياة في الطاعة لهجرت كل لذة سواها.

قولوا لكل فتاة تخضع لشيطان أو تجري وراء سراب أو يضيع وقتها في نظرات عابسة قولوا لها: والله أنتِ محرومة إن لم يخالط بشاشة قلبك حلاوة الإيمان.

إنه الإيمان يا إخوان شفاء العيان ودواء الحيران ورواء الظمآن والله، والله ما عاش من لم يتذوق حلاوة الإيمان والله والله ما عاش من لم يستلذ بنور الهداية.

اسألوا محمدًا ﷺ عن تلك الحلاوة التي تريحه وتسعده وتجعله يقول لبلال: يا بلال قم فأرحنا بالصلاة.

تلك الحلاوة التي جعلته يقول: وجعلت قرة عيني في الصلاة.

تلك اللذة التي جعلته ينسى نفسه فيصف قدميه لربه حتى تتشقق الأقدام..

تلك الحلاوة التي جعلته يصبر على أذى قريش وأهل الطائف..

تلك الحلاوة التي تجعل كل قطرة دم كأس عسل مصفًّى وتجعل كل لحظة ألم سنة من السعادة والهناء، وتجعل كل ضربة بسيف كأنه قُبلة من شفاة حورية حسناء وتجعل كل رمية سهم أغنية على ثغور غلمان الجنان.

إذا أردتم تلك الحلاوة فاسألوا عنها الصديق المحبوب أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي جعلت دموعه تحفر الأخاديد على وجنتيه.. وهل هناك أجمل من دموع المحبين.

اسألوا عنها عمر الذي قام ليله وصام نهاره وبذل وقته للأمة يتحسس أحوالهم ويحمل الزاد لضعيفهم ويحزن إن تعثرت بهيمة في الطريق.

اسألوا عنها عثمان الشهيد المقدام يبذل المال والقوافل والمتاع والسلاح وكل شيءٍ وهو يزداد سعادة وراء سعادة وطمأنينة خلف طمأنينة.

اسألوا عنها أبا تراب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصوم ثلاثة أيام وما يجد طعام وينام في فراش النبي ﷺ والموت عند رأسه كأنه حبيب غائب ويبذل وقته لأمته بالنهار وبالليل يخلو بمولاه.

اسألوا عنها أبا هريرة الفقير المسكين الذي حوى علم أمة الإسلام فهو بكل حديث وآية كأنه ملك كنوز الدنيا.

اسألوا عنها عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد.

اسألوا عنها شيخ الإسلام ابن تيمية وأحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري..

بل اسألوا عنها الآن كل طائعٍ وصادقٍ مع الله.

والله يا إخواني والله يا أخواتي .. إن دموع الأسحار ألذ من كل لذيذٍ في الدنيا وإن الخلوة بالحبيب سبحانه وتعالى أعظم من كل سعادة في الحياة.

أخي.. حياتك ليست أن تلبس وتتزيَّن، ليست أن تنام وتتمتع، ليست أن تلهو وتخرج وتتنزه بل أن تجعل كل حركة منك في مرضاة الخالق العظيم.

أختي .. هل فكرتِ يومًا في أن تغلقِي الباب عليكِ وتقفي في محرابك لتعترفي.. لتقولي: يا ربي أنا أمتك المقصِّرة.. أعطيتني كثيرًا.. أكرمتني كثيرًا .. حميتني كثيرًا .. آويتني كثيرًا .. نعمك عليَّ سابغة لكنني يا رب عصيتك كثيرًا وابتعدت عنك كثيرًا .. والآن أريد

حلاوة الدنيا ولذة الحياة .. فيفتح الله فؤادكِ وينير بصيرتكِ وتجدين لذة الطاعات كأنها قطرات شهد على طرف لسانك.

يا كل أذن تسمع .. إليكم كلمات النور من محمدٍ ﷺ..

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه سمعت الرسول ﷺ يقول:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

الله أكبر .. إلى كل شاب يريد أن يعيش حياته سعيدًا..

وإلى كل فتاة تتمنى أن تذوق في العيش لذة..

ها هو نبيكم الذي يحبكم، يقول لكم: لا تقدموا شيئًا على الله ورسوله، ولا تحبوا إلا لأجل الله ولا تنسوا فضل الله بالإسلام عليكم، ولا تعودوا إلى ما قبل هدايتكم، واكرهوا كل ما يغضب مولاكم كما تكرهون النار، سبحان الله!!

ما أجملك وما أعظمك يا رسول الله .. والله لقد بيَّنت ووضحت وأرشدت..

كم من شاب كان عاصيًا.. كان بعيدًا كان هاجرًا.. فلما رجع إلى مولاه آواه الكريم وأذاقه النعيم، وهو الآن في أحضان السعادة يتقلب فيها .. بسمته لا تفارقه حتى ولو كان فقيرًا أو وضيعًا، وكم من فتاة كانت مغتربة وحيدة ضائعة فلما وصل إليها صوت الإيمان قادها إلى الرضوان وأوصلها إلى حديقة الاطمئنان فهي الآن في سعادة وهناء وسرور ورضاء.

يحدثني أحد الفنانين التائبين فيقول:

كنت مغنيًا عاصيًا وكان يحضر لي الآلاف من الناس والله كانت تحت يدي السيارات والنساء والأموال والخمور والمخدرات ولم وجدتُ طريق الرحمن أقسم لك بالله أدركتُ أني قبلها لم أكن إنسانًا!! والله إن دمعة واحدة لله خيرٌ عندي من أموال وكنوز الدنيا ..

في ليلة من الليالي جاءني يزورني في منطقة القصيم عند شيخنا العلامة بن عثيمين رحمه الله تعالى، نام معي في غرفتي وفي الساعة الثانية ليلًا أيقظني: يا أخي يا أخي، قلتُ في نفسي: نعم! ما هذا المجنون نحن اليوم كله في طلبٍ للعلم ولا يكاد نصل إلى الفراش حتى نودع الحياة لنرحل إلى عالم النائمين لم أبالي به.

لكنه قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ألن تستيقظ؟!

قلت: بعد ساعة، وبعد ساعة أحسستُ كأنها دقيقة أيقظني مرة أخرى **وقال:** الآن الثالثة وبقيت ساعة على الفجر ولا ينبغي لخطاب الحور إلا أن يبذلوا لهن المهور ولا ينبغي أن ينزل إليك السيد وأنت عنه غافل ولاهٍ، واستيقظت من نومي لأقول لنفسي: سبحان الله من الغناء والمسارح والأموال والنساء والدنيا إلى الخلوة بالرحيم الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله: تأمل كيف أنهم كانوا يخفون صلاتهم بالليل عن الناس، فكان الجزاء أن أُخفي لهم الأجر العظيم في الآخرة، وتأمل كيف أبدل خوفهم واضطرابهم وبعدهم عن مضاجعهم بقرة العيون التي تنتظرهم في الجنة.

الله أكبر .. اللّهم اجعلنا منهم يا حي يا قيوم.

يا شباب الإسلام .. يا فتيات الإسلام لنعش حياتنا في سعادة على طاعة الله جل وعلا..

والله ليست الأموال ولا الكنوز ولا النساء ولا الأولاد سوى أسباب للسعادة إذا كانت في مرضاة الله، والله إن الطائع والمطيعة ليجدان من الأنس والقرب واللذة ما لا يجده غيرهم .. حتى الملوك

حتى الرؤساء حتى الوزراء والأغنياء لا يجدون شيئًا من تلك اللذة إلا إذا كانوا قريبين من الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

وأنا أقول لكم يا أحباب بل إن التارك للمعصية فقط يجد والله من الراحة في حياته والسرور والهناء ما لا يجده المقارف لتلك المعاصي .. شاهدوا معي هذه الكلمات الجميلة التي صاغها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قال ابن القيم في كتابه الفوائد:

سبحان الله رب العالمين ولو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قوام لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم وصلاح المعاش وراحة البدن، وقوة القلب وطيب النفس وانشراح الصدر والأمن من مخاوف الفُسَّاد والفجَّار، وقلة الهم والغم والحزن وعز النفس عن احتمال الذل وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفُسَّاق والفُجَّار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب وتيسير ما عسر على أرباب المعاصي، وتسهيل الطاعات عليه وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه والمهابة التي تُلقى له في قلوب الناس وانتصارهم وحميتهم له إذا أُوذي وظلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسُرعة إجابة دعاءه وزوال

الوحشة التي بينه وبين الله وقُرب الملائكة منه وبُعد الشياطين من الإنس والجن عنه، وتَنافُس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعَدم خوفه من الموت بل يفرح بالموت لقدومه على ربه سبحانه وتعالى وصِغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوقه حلاوة الإيمان ووجده لذة الطاعة ودعاء حملة العرش ومن حولهم من الملائكة له، وفرح الكاتبين به، ودعائهم له في كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرح الله سبحانه بتوبته، وهكذا يجازيه الله بفرحٍ وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية، فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تارك المعصية تلقته الملائكة بالقبول والبشرى من ربه بالجنة وبأنه لا خوفٌ عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة يتنعم فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

هذا والله هو الفوز وهذا والله هو الخير وتلك والله هي السعادة .. أرأيت كيف يعيش هؤلاء السعداء حياتهم، تُرى أخي

أختي .. ألسنا نتمنى جميعًا أن يكون لنا مثل هذه الفضائل التي يجدها تارك المعصية.

أخواني .. أخواتي .. نبيكم ﷺ كان فقيرًا لكنه كان سعيدًا .

نبيكم ﷺ جاع كثيرًا لكنه أعطى كثيرًا .

نبيكم ﷺ مرت عليه الشهور دون أن يُوقد في بيته نار ومع ذلك ما تضجر من حياته وما ملَّ من دعوته، وهكذا الخلفاء من بعده لبسوا الثياب المرقعة كي يدخروا مال بيت المسلمين للأمة، علموا أن هذه الحياة هي مَرحلة فقط للدار الآخرة، إذًا لنعش حياتنا على هذا المبدأ لنعش حياتنا على هذا المبدأ ولنرضَ بما قسم الله ولنسعد بما أعطانا الله ولنفرح بها في غير معصية الله .

ذكر ابن قدامة رحمه الله في كتابه التوَّابين أن المأمون الخَليفة العباسي كان يحب ابنه عليًّا حبًّا شديدًا ويقدمه على جميع أولاده، وكان من أحسن الناس وأجملهم مع أدبٍ وفصاحة قال عبد الحميد: وكنتُ إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلم عليه فأرى معه حياءً وبشاشة، ولا أرى فيه كبرًا ولا عِزة، يضاحك خدمه ويلاطف جلساءه، ثم أسخى من رأت عيناي وأحسنهم خلقًا وأطيبهم نفسًا، وكنت إذا رأيته لا أكاد أصرف وجهي عنه من حسن جماله وكان سبب زهد المأمون أن ابنه عليًّا كان في يومٍ صائف شديد الحر في قبة

له في الجيش فأتاه الخادم **فقال:** يا سيدي أمير المؤمنين يدعوك، قد دعى بطعامه وهو ينتظرك، **فقال:** ويحك الحر شديد ويؤذيني وأكره الخروج، فارجع إلى الخليفة فأعلمه أنك وجدتني نائمًا، فمضى الخادم ورجع سريعًا **وقال:** إن الخليفة **قال:** ادخل عليه ونبهه، وكان لا يصبر عنه المأمون ساعة وكان يحبه حبًا شديدًا، فقام علي ابن المأمون وهو كارهٌ فحضر الطعام ثم قعد أمير المؤمنين للشراب مع ندمائه، فقام عليٌ وخرج من المجلس وكان لا يشرب شيئًا من النبيذ، فانصرف إلى قصره وأمر أن يفرش له في بعض الشرفات على نهر دجلة ودعا ندماءه وأصدقاءه وقعد على سريرٍ ينظر إلى الناس وإلى دجلة، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى حمَّالٍ قد أقبل عند زوال الشمس عليه عباءة صوفٍ قديمة لا قميص تحتها ولا سراويل عليه وقد شدَّ على رجليه خرقًا من الحر ولبس نعلين متخرقين، وعلى رأسه خرقةٌ، وعلى عنقه طبقٌ، فأتى دجلة وقعد في بعض السفن والأمير ينظر إليه مستشرفًا عليه، لا يصرف بصره عنه، فوضع طبقه وخلع نعليه وألقى الخرق عن رجليه، ودنا من دجلة وغسل يديه ورجليه وانصرف إلى موضعه فأخرج جرابًا له ففتحه وأخرج منه كسرًا يابسة مختلفة الألوان من الخبز وأخرج منه إناءً خشبيًا، فغسل الإناء وجعل فيها ماء وألقى تلك الكِسر في الماء الذي في الإناء، ثم أخرج صرةً ففتحها وأخرج منها ملحًا فنثره على الخبز وقليلٌ من الزعتر، ثم تربع على

الرمل وسمَّى الله تبارك وتعالى وأكل أكل رجلٍ يشتهي الطعام وهو مع ذلك يشكر الله تعالى، والأمير عيناه إليه حتى فرغ وغسل الإناء فرده في جرابه مع كسيرات من الخبز بقيت وشد خرقة الملح، ودنا من الشاطئ فاغترف بكفيه من الماء **وقال:** يا سيدي ومولاي لك الحمد على هذه النعمة التي تفضلت بها عليَّ، فلك الحمد على أياديك عندي فلك الحمد ولك الشكر، ثم وضع رأسه على الأرض وتمدد على الرمل ساعة، ثم قام فتهيأ للصلاة وقام يصلي الظهر، فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده: ليذهب بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فليأتني به مع طبقه وأغراضه ولا يرعبه وعليه باللطف حتى يأتيني به، فمضى بعض الغلمان فأتاه فأقام عنده حتى سلَّم، ثم قال له: قم معي حتى تحملني متاعًا من قصر الأمير، **فقال:** اطلب غيري فإني متعوب البدن، فقال ذلك الرجل: الموضع قريبٌ والحمل خفيف، **قال:** يا حبيبي قد عرفت ذلك وأنت تصيب غيري فاعفني فإني أكره دخول الدار للأمير، **قال:** لا بد منه إن قمت وإلا أُقمت وغلظ له الكلام، فقام الرجل وألقى متاعه على عنقه وحمل الطبق وقرأ قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فأدخله الغلام القصر، ثم أصعده حتى أوقفه بين يدي الأمير علي بن المأمون على هيئته تلك، فأمره الأمير علي بالقعود فقال له الندماء: أيها الأمير من هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته؟

فقال: اسكتوا، ثم قال: هل أنت من أهل هذه البلدة؟ قال: نعم، قال: ما صناعتك ؟ قال: أحمل الأشياء وأنقلها، قال: وكم عيالك؟ قال: نحن عيال الله، لي والدة عجوز مقعدة وأخت عمياء مريضة، قال: ولك أهلٌ أو ولد؟ قال: مالي أهلٌ ولا ولد. قال: فكم تكسب في اليوم؟ قال: على قدر ما يرزقني الله إلا أنه لا ينتهي يومٌ إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى، قال: أفتطيق الحمل كل يوم؟ قال: إذا صليت الفجر خرجت فتعرضت للرزق إلى وقت الزوال ثم أتفرغ لنفسي حتى أنتهي من صلاة العصر وأجمُّ نفسي من العصر إلى الليل، قال علي: إني رأيتك تأكل وحدك كيف لا تأكل مع والدتك وأختك؟

قال: أنهما تصومان فأجعل عشائي مع فطرهما. قال: اخرج الكِسر، ففتح جرابه فأخرج له كسرٍ يابسة من الخبز لونها أسود وأحمر وأبيض، فنظر إليها الأمير ساعة يتأملها متفكرًا، ثم قال: يا شاكر آتني بخمسة آلاف درهم صحاح فادفعها إلى هذا الحمَّال ليصلح بها حاله، فقال: أيها الأمير أنا غنيٌّ عنها لا حاجة لي فيها، فجهد به على أن يأخذها فأبى ذلك الحمَّال أن يأخذها، قال الأمير: فلي إليكَ حاجة، قال الحمَّال: ما حاجة مثلك إلى مثلي؟! قال: هي حاجة مهمة، فأخذ بيديه فأدخله في بعض غرفه وخلا معه فيها وقال: يا هذا قد عرفت حالي وقصتي وموضعي وما أنا فيه من هذا الملك ونعيم الدنيا ولذَّتها فادعو الله تبارك وتعالى أن يزهدني في الدنيا ويرغبني في الآخرة.

فقال له الحمّال: يا حبيبي مالي عند الله من المنزلة ما أدعوه، افرض على نفسك كل يوم ساعة شيئًا معلومًا من خصال الخير فإنك إذا فعلت ذلك جاءتكَ العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك، ولا تؤخر عمل يومك إلى الغد، ولا تكلف نفسك ما لا طاقة لها به، وأكثر ذكر الموت فإن ذكره يكثر القليل ويقلل الكثير وعليكَ بتقوى الله تعالى وطاعته واجتناب معاصيه، ثم رفع يديه وطأطأ رأسه ودمعت عيناه **وقال:** يا من رفع السماء بقوته، ودحى الأرض بمشيئته، وخلق الخلائق بإرادته، واستوى على العرش بقدرته يا مالك الملك يا جبار الجبابرة، يا إله العالمين يا مالك يوم الدين، أسألك برحمتك وجودك وقدرتك أن تخرج حب الدنيا من قلب عبدك هذا علي بن المأمون وتوفقه لطاعتك من الأعمال التي تقربه إلى مرضاتك، وتجنبه معاصيك وتختم لنا وله برضوانك وعفوك يا أرحم الراحمين.

قال: فدمعت عينا عليٍ وبكى فأكثر البكاء، ثم قال للحمّال: لو قبلت منا شيئًا، **قال:** لا أريد وحاجتي أن تعجِّل سراحي أيها الأمير، فأمره بالخروج فخرج الحمّال وانصرف الأمير إلى موضعه وهو متفكرٌ قد ذهب عنه النشاط ثم التفت إلى ندمائه وأصدقائه، **فقال:** يا قوم لو شهدتم طعام أمير المؤمنين ورأيتم ما يرفع ويوضع من صنوف الأطعمة، ثم جعل يصف ذلك الطعام، ثم **قال:** لو رأيتم الطعام

الذي يُخبز قد تنوَّر في بياضه وجودته وطحنه ثم ينخل بالشعر ثم ينخل بالكرابيس ثم ينخل بالحرير حتى يبقى رأسه ومخه فيوقد بعد ذلك على النار فإذا سكَّن وهجه بخِّر بالتنور في العود القُماري وخبز بصنوف الطعام، ثم وصف ما يُتخذ له من صنوف الألوان من الحار والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك، وهذا الحمَّال يا إخواني طعامه ما قد رأيتم ومائدته طبق من سعف النخل.

ثم طأطأ رأسه وجعل ينكت بأصبعه على الحصير ساعة، ثم **قال:** يا غلام إأتي منيبًا خازن الكتب فمره أن يخرج لي سيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فأتاه به فجعل ينظر في سيرة عمر بن الخطاب، **فقال:** اسمعوا ماذا كان طعام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؛ جزء يسير من لحم الإبل مطبوخ بماءٍ وملح، وأقراص من شعير غير منخول، فقيل له : يا أمير المؤمنين لو أكلت غير هذا الطعام فقد وسَّع الله على المسلمين، فقال ها : إن الله تبارك وتعالى عيَّر قومٍ بأكلهم بقوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ فجعل يصف لهم سيرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه وتدمع عيناه، فلما فرغ **قال:** يا غلام قل لمنيب يخرج لي سيرة عمر بن عبد العزيز، فأخرج إليه، فجعل ينظر فيه ويصفُ لندمائه، ثم **قال:** أبعد الله بطنًا يعقب صاحبه ندمًا يوم الحسرة في عرصات القيامة، هذا عبد الله بن عمر زين أبناء الصحابة اشتهى عنبًا فلم يذقه، وهذا سعيد بن

المسيب زين التابعين يقول: ليت أن الله جعل رزقي في مص حصاة فقد استحييتُ من الله من كثرة ذهابي إلى قضاء الحاجة، وهذا الربيع بن خُثيم اشتهى خبيصًا فلم يذقه، وهذا مالك بن دينار وهذا فلان وهذا فلان فجعل يذكر وتدمع عيناه.

ثم **قال:** أترى القوم لم يشتهوا طيب الطعام لكنهم والله زهدوا عن الفاني بالباقي، وباعوا القليل بالكثير، وصبروا في دنياهم فنالوا الذي طلبوا، خرجوا من الدنيا خماصًا جياعًا حُفاةً عُراةً فلم تأكل الأرض منهم شحمًا ولا لحمًا، بليت الجلود على العظام والعروق.. ثم شمَّر عن يده وساعده وكأنه قضيب فضة مستديرة شحمًا ولحمًا **فقال:** إن هذه اليد وإن هذا الساعد مع هذا البدن رُبِّي بالأطعمة والأشربة التي وصفت لكم من الطعام والشراب سوف يبلى في التراب كما يبلى ساعد الحمَّال الذي كان معكم قبل قليل، ثم أرسل عينيه فبكى فأكثر البكاء ونحن قيامٌ على رأسه، ثم **قال:** يا غلام، ارفع هذه الآلة قبَّحها الله فما أموتها للقلوب وما أضرها وأذلها، فرفعت وصرف الندماء والخدم والغلمان وبقي وحده متفكرًا لا يأذن لأحد عليه، حتى إذا مضى بعض الليل نادنى **فقال:** يا شاكر، قلتُ: لبيك أيها الأمير، **قال:** دونك الخزائن فاحفظها مع جميع ما في الدار فإني منطلق إلى سيدي، قال شاكر: وأنا أظن أنه يعني بسيده أباه الخليفة المأمون، فخرج عليٌ وعليه إزار قد أخذه على رأسه ونعلٌ طاق قد وضعها في رجله، **وقال:**

لا يتبعني منكم أحد أبدًا، فخرج ومعه غلام صغير وتخلف عنه الخدم والغلمان، فلما أصبحنا افتقدنا الغلام إلى ارتفاع النهار، فجاء الغلام فسألته عنه، **فقال:** لم يدخل دار أمير المؤمنين ولكنه ذهب نحو نهر دجلة، وقال لي: قف موضعك هنا ولا تبرح، فلا أدري أين ذهب إلا أنه دنا من ملّاح فناوله دنانير **وقال:** لي حاجة مهمة في مدينة واسط فتعجّل بي إلي هناك، فانطلق الملّاح وهو لا يعرف أنه علي بن الخليفة المأمون، فأدخله الزورق ومضى به إلى واسط، ثم لم يقم بواسط حتى خرج إلى البصرة وتنكر ولبس الخشن على ذلك الجلد النقي واشترى طبقًا كهيئة ما رأى من زي الحمّال، وجعل الطبق على عاتقه يعمل على مقدار قوته، يحمل على رأسه ويعطى القطع والكسر من الخبز والمال ولا يدري كم أعطي بالنهار صائم يحمل على رأسه وبالليل قائم يصلي، يمشي حافيًا حتى تقطعت رجلاه، يبيت في المساجد ويتنقل بها كي لا ينتبه له أحد، فلم يزل كذلك يعمل ويعبد ربه سنين طويلة وأمير المؤمنين المأمون يبحث عنه في كل مكان، وقد كتب في جميع الأفاق إلى الولاة في كل بلدة أن يُطلب عليٌ وتوضع عليه العيون، فلم يعثر عليه أحد.

قال: فمرض علي في بعض المساجد وتغيرت حاله فلما اشتدَّت به العلة والمرض، دخل بعض البيوت في البصرة واستأجر فيها غرفة وألقى نفسه على خشبة عليها كساء فلما أحس بالموت دعا صاحب

البيت فناوله خاتمه ورقعة مختومة فقال: يا هذا إذا أنا قضيت نحبي وخرجت روحي، فاخرج إلى صاحبكم - يعني الوالي - فأريه خاتمي وعرفه موضعي وناوله هذه الرقعة والكتاب، ثم خرجت روحه ومات رحمه الله فلما قضى غطاه بثوب وخرج نحو باب الأمير ونادى: أدخلوني على الأمير أدخلوني على الأمير، فأدخل على أمير تلك المنطقة فأراه الخاتم، فلما نظر إليه الوالي عرفه وقال: ويحك أين صاحب هذا الخاتم؟ قال: في الغرفة في البيت ميت.

وناوله الرقعة مختومة مكتوبًا عليها: لا يفكها إلا المأمون أمير المؤمنين، فركب الأمير حتى أتى البيت وحوَّله إلى قصره وطلى عليه الكافور والمسك والعنبر ولفه في قباط من قماش مصر، وحمله في الماء إلى المأمون، وكتب إلى المأمون يعرفه قصته وأنه وجده في غرفة على خشبة في بعض البيوت ما تحته مهاد ولا عنده باكية مسجى مغمض العينين مستنير الوجه طيب الرائحة، قال: وبعث إليه خاتمه ورقعته، فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين وأدخل عليٌّ عليه قام فكشف عن وجهه وانكب عليه يقبله، ويبكي وارتفع الصياح في الدار والضجيج في البيت ثم فكَّ الرقعة فإذا مكتوب فيها بخطه: يا أبتاه يا أمير المؤمنين، اقرأ سورة الفجر إلى رابع عشرة آية منها فاعتبر بها واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ثم أمر المأمون فغسِّل علي وكفن وأخرج ليدفن والمأمون يمشي حتى صلى عليه، فلما وضع في حفرته أمر الخدم **فقال:** اخرجوا من القبر ثم نظر في القبر **فقال:** يا بني رحمك الله وأعطاك أمنيتك ورجاءك، إني لأرجو أن يكون الله قد أسعدك ونفعني بك فنعم الولد كنت جمع الله بينك وبين ابن عمي المصطفى ﷺ ورزقني الصبر عليك، ثم **قال:** سووا عليه، فدخل الخدم فأطبقوا عليه الألواح ثم **قال:** أهيلوا عليه التراب وهو واقف يصيبه الغبار والخدم قيامٌ حوله معهم المناديل يردون الغبار عن أمير المؤمنين، ف**قال:** ابتعدوا عني، يبلى ابني علي في التراب وتردون عني الغبار؟!

ثم **قال:** اللّهم ثبته بالقول الثابت، اللّهم إني أشهدك أني راض عنه يا أرحم الراحمين، والرقعة في يده لم يتركها، فلما انتهى من الدفن دعى محمد بن سعد الترمذي، فأمره أن يقرأ سورة الفجر، فجعل الترمذي يقرأ والمأمون يبكي ثم تصدق عنه الخليفة المأمون بألف ألف درهم وأمر بمن في السجون أن يطلق سراحهم، وكتب إلى العمال بإنصاف الرعية ورد المظالم ونزع عن أمور كثيرة، وبقي بعده لا يذكره إلا بكى وهو مكروب لا يرتاح للذة ولا لشهوة وينتاب مجلسه الفقهاء يصبرونه ويعظونه فمازال هذه حاله حتى مات رحمه الله.

إخواني أخواتي.. هكذا العقلاء، لا يستلذون بالدنيا ولا يجدون السعادة فيها بل قلوبهم معلقة بنعيم الآخرة لذلك هم يعيشون حياتهم في الأرض وقلوبهم في السماء، أقدامهم تمشي في الشوارع وأرواحهم تحلق في الجنات، علموا أن السعادة الحقيقة هي أن تقام هذه الحياة على طاعة الله عز وجل أسألكم بالله هل هناك أسعد من التائبين؟!

هل رأيتم أهنأ من الطائعين؟!

هل سمعتم عن سرور كسرور الصادقين؟!

لا والله .. عاشوا حياتهم كما أراد مولاهم فأعطاهم الملك ما يريدون ووهب لهم ما يشتهون، بل سخَّر لهم كل ما في الأرض، يستلذون فما يعصون، ويسعدون ولا يفرطون، وفي النهاية في الآخرة يرضى عنهم ربهم يستقبلهم مولاهم أهلًا بعبادي .. أهلًا بمن صاموا نهارهم من أجلي، أهلًا بمن قاموا ليلهم من أجلي، أهلًا بمن عاشوا حياتهم في طاعتي اليوم يوم الجزاء، اليوم ألبسهم النعماء وأكسهم السراء : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۞ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ

حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

اللّٰهم يا حي يا قيوم نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن ترزقنا حياة مطمئنة سعيدة، اللّٰهم ارزقنا حياة مطمئنة سعيدة، اللّٰهم اجعلنا ممن يعيشون حياتهم على مرضاتك، يا رب أصلح أحوال شباب المسلمين، يا رب خذ بنواصيهم لخدمة الدين، يا رب أرضهم بما قسمت لهم يا رب العالمين، يا رب املأ قلوبهم سعادة، يا رب املأ قلوبهم سعادة..

يا رب املأ قلوبهم سعادة، يا رب أصلح أحوال فتيات المسلمين، يا رب ارزقهن العفة والرفعة والقناعة، يا رب املأ قلوبهن بخشيتك وتقواك أنك أنت السميع العليم

يا رب كل شابٍ معنا الآن وكل فتاةٍ بيننا الآن كلنا ندعوك أن تغفر لنا ذنوبنا

يا ربنا اغفر لنا ذنوبنا، يا ربنا اغفر لنا ذنوبنا، تب علينا ثبت أقدامنا وتولى أمرنا

قل للملائكة: أُشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم أنك رحم بنا من أمهاتنا

اللّهم هذا الدعاء ومنك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصل الله وسلم وصحبه أجمعين وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

إصدارات الدار
للشيخ محمد الصاوي

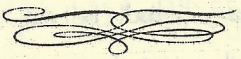

١- اللحظة الأخيرة.

٢- أرجوك لا تتزوجيني.

٣- أنا وحبيبتي.

٤- صاحبي قتلني.

٥- دلوني على الجميلة.

٦- ذكرياتي معها.

٧- ميجارتي.

٨- عائد.

٩- رمضان كريم.

١٠- الساحرة المستديرة.

١١- كيف الحال يا شباب؟

١٢- لماذا يا أبي؟

١٣- عيش حياتك.

١٤- أكرم مَلِك.

١٥- أعتق رقابنا.

١٦- إني أُحبه.